رابطة العالم الإسلامي

الأمانة العامة

الإدارة العامة للمؤتمرات والمنظمات

الغزو الثقافي والهزيمة النفسية

إعـداد

الدكتورة كريمة عبد السلام

جامعة الدمام بالمملكة العربية السعودية

مقدم إلى مؤتمر مكة المكرمة الخامس عشر

الثقافة الإسلامية.. الأصالة والمعاصرة

الذي تنظمه

رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة

٤ – ٦ / ذو الحجة / ١٤٣٥ هـ

٢٨ – ٣٠ / سـبتمبر / ٢٠١٤ م

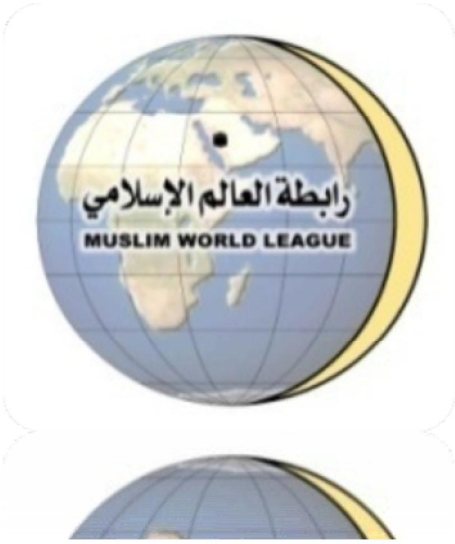

رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية

صندوق البريد (٥٣٧) أو (٥٣٨) مكة المكرمة (٢١٩٥٥)

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٦٠٠٩١٩- الفاكس: ٥٦٠١٣١٩-٥٦٠١٢٦٧

برقياً: رابطة - مكة، تلكس: ٥٤٠٠٠٩ و٥٤٠٣٩٠

www.themwl.org

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

التنوع والتعدّد بمختلف أشكالهما -كالاختلاف في الخَلق والأجناس واللغات والطوائف- هو سُنّة الخالق الحتمية على هذه الأرض، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨-١١٩]، جاء في تفسير ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾: أي أهل الحق وأهل الباطل، ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ قال: للرحمة[١]؛ فالصراع بين الناس مسألة حتمية؛ لأنَّ الحقَّ يُضادُّ الباطل، والهُدَى يُخالِف الضَّلال، وهما ضِدَّان، والضدَّان لا يمكن أن يجتَمِعا، وتطبيقُ أحدِهما يتطلَّب مُزاحمةَ الآخَر ومُدافَعتَه، وقلعَه وإزالتَه، أو إضعافه وتحجيمه، ومنْعه من أن يكون له التأثيرُ الأقوى في واقع الناس، فمنذ خلَق الله تعالى آدمَ عليه السلام، واستكبار إبليس عن السجود له؛ كان قرار الشر والعداء لبني الإنسان: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٣٩-٤٠]؛ أي أُزين لهم الدنيا وأدعوهم إلى إيثارها على الأخرى حتى يكونوا منقادين لكل معصية[٢]، ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: مركز هجر للبحوث (٨/ ١٧٠).

(٢) للاستزادة: جامع البيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: مكتب دار هجر (١٤/ ٦٩)- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة (٤/ ٥٣٥)- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق (١/ ٤٣١).

لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ [الحجر: ٤١-٤٢].

إذن فالشر ليس إلا تزيين الخير بما يناقضه، وبالتالي فإن التدافع قائم على معادلة الانقياد للشر المزيَّن أو البقاء على الخير: ﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾.

وهكذا فمنذ بداية الدعوة إلى طاعة الله وتعاليمه، والإعراض عن الشرك، ورفْض الشياطين والطواغيت، والابتعاد عن الظلم والفساد والمعاصي والأعمال المنكرة؛ وجدَت من يعارضها من أهل الباطل، رغبةً بالتحلل منها واتباع الهوى والانقياد له، فحُرفت اليهودية والمسيحية، وبقي الإسلام حيث حفظه الله من التحريف والتغيير والتبديل، فكان شريعةً للعالمين، ودينًا يَعُمّ المجتمعَ الإنساني على اختلافه في العنصر والوطن واللسان، لا يفترض لنفوذه حاجزاً بين أبناء الإنسان، ولا يَعترف بأيّة فواصل وتحديدات جنسية أو إقليمية، فكان وما زال هدفًا لأهل الظلم والبغي: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٦].

فهل يمكن اعتبار الغزو الثقافي جزءاً من هذا الصد عن دين الله؟ وهل هو مجرد تلاقي حضارات وتعايش ثقافات في إطار العولمة التي نعيشها؟ وهل نجاح مثل هذا الغزو يعود إليهم أم إلينا؟ وهل نجحوا وفشلنا نحن في الحفاظ على هويتنا الإسلامية؟ أم أن الأمر يعود فقط إلى كوننا نحب أن نعلّق أخطاءنا على شمّاعة غيرنا؟ ثم إن كانت هناك هزيمة نفسية؛ فما هي حدود هذه الهزيمة في كيان الأمة الإسلامية؟

إن موضوع الغزو الثقافي تناوله الكثيرون بالبحث والتحليل، إلا أنني سأحاول إن شاء الله أن يكون تناولي وطرحي مختلفاً، وسيكون البحث في تمهيدٍ ومبحثين، وخاتمة مع توصيات.

التمهيد: لتحديد مصطلحات البحث.

المبحث الأول: التأصيل الحضاري والغزو الثقافي.

المطلب الأول: التأصيل الحضاري للثقافة الإسلامية.

المطلب الثاني: الغزو الثقافي.

مظاهر الغزو الناعم في القيم والمبادئ:

أ- التغريب. ب- العولمة. ج- المثاقفة.

المبحث الثاني: الهزيمة النفسية

الخاتمة، ثم توصيات للمؤتمر.

سائلةً اللهَ عز وجل أن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تمهيد:

لا يمكن لنا أن نتصور تاريخاً بلا ثقافة، والشعب الذي يفقد ثقافته يفقد حتماً تاريخه، فالثقافة ليست عِلماً يتعلمه الإنسان؛ بل هي محيط يحيط به وإطار يتحرك داخله، فهو يغذي جنين الحضارة في أحشائه، إنها الوسط الذي تتكون فيه جميع خصائص المجتمع المتحضر، وتتشكل فيه كل جزئية من جزئياته تبعاً للغاية العليا التي رسمها المجتمع لنفسه، والكتلة التي تتضمن عاداتٍ متجانسةً، وعبقرياتٍ متقاربةً، وتقاليدَ متكاملةً، وأذواقاً متناسبةً، وعواطفَ متشابهةً، فمن أين جاءت كلمة (ثقافة)؟ ومنذ متى استُخدمت في اللغة العربية؟

إن القواميس الموجودة بين أيدينا – سواء القديمة أو الحديثة– لا تذكر هذه الكلمة إلا لماماً، جاء في لسان العرب، مادة «ثقف»: (ثَقِفَ الشيءَ ثَقْفاً وثِقافاً وثُقُوفةً: حَذَقَه، وثَقِفٌ وثَقُفٌ: حاذِقٌ فَهِم، ورجل ثَقْفٌ لَقْفٌ: إذا كان ضابِطاً لما يَحْوِيه قائماً به، ويقال: ثَقِفَ الشيءَ وهو سُرعةُ التعلم، ثَقِفْتُ الشيءَ: حَذَقْتُه، وثَقِفْتُه: إذا ظَفِرْتَ به، قال اللّه تعالى: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ ﴾ [الأنفال: ٥٧]، ومنه المُثاقَفةُ، وثَقِفَ أَيضاً ثَقَفاً مثل تَعِبَ تَعَباً: أَي صار حاذِقاً فَطِناً فهو ثَقِفٌ وثَقُفٌ، مثل حَذِرٍ وحَذُرٍ، وهو غلام لَقِنٌ ثَقِفٌ: أَي ذو فِطْنةٍ وذَكاء، والمراد أَنه ثابت المعرفة بما يُحتاجُ إليه)[1].

وفي المعجم الوسيط: (ثقف ثقفاً: صار حاذقاً فطناً فهو ثقِف، وفلان صار حاذقاً فطناً، وثقِف الشيءَ: أقام المُعْوَجَّ منه وسَوَّاه، والإنسانَ: أدَّبه

(١) لسان العرب لابن منظور، دار صادر بيروت، باب (ثقف)، (١٩/ ٩).

وهذَّبه وعلَّمه، ويقال: تثقَّف على فلان، وفي مدرسة كذا، والثقافة: العلوم والمعارف والفنون التي يُطلب الحِذْقُ فيها)[١].

وفي تهذيب اللغة: (رجل ثَقِف لَقف: إذا كان ضابطًا لما يحويه قائمًا به، ويقال: ثَقِف الشيء: وهو سُرعة التعلم)[٢].

وإذا ما راجعنا لم نجد أثراً لتلك الكلمة في لغة ابن خلدون، الذي يُعد المرجعَ الأول لعلم الاجتماع العربي في العصر الوسيط، ولا نجدها مستعملة في العصر الأموي والعباسي، إذ لا أثر لها في اللغة الأدبية أو الرسمية والإدارية لذلك العصر، فتاريخ هذه الحِقبة لم يَرو وجودَ لائحةٍ إدارية خاصة بمنظمة معينة أو عمل من الأعمال يتصل بالثقافة، وإن كانت الثقافة العربية آنئذٍ في قمة ازدهارها[٣].

إن فكرة (الثقافة) حديثة جاءتنا من أوروبا، ثم إننا نجد فيما كُتب حديثًا عن هذا الموضوع في البلاد العربية، أن الكُتّاب يُقرنون كلمة «ثقافة» بكلمة «culture» مكتوبة بحروف لاتينية، وتعني الزراعة، ثم شُخصت وصنفت واقعًا اجتماعيًا وخَلقت مفهومًا جديداً هو (الثقافة)، ثم أخذت تتوسع في اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية لتشمل تنمية الأرض بالمعنى المادي أو الحسي، وتنمية العقل والذوق والأدب بالمعنى المعنوي.

---

(١) المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية: إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار دار الدعوة(١/ ٩٨).

(٢) تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، (٩/ ٨١).

(٣) مشكلة الثقافة، مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، تحقيق وإشراف: ندوة مالك بن نبي، ص: ١٩-٢٠ بتصرف.

ثم طور معناها فلاسفةُ العصور الحديثة، فأصبحت تعني: مجموعة عناصر الحياة وأشكالها ومظاهرها في مجتمع من المجتمعات[١]، لكنَّ القرن التاسع عشر أحدث تقدماً في مفهوم (الثقافة)، فأخذ خطوة في طريق تطوير تعريفها، ونستطيع اليوم أن نرُدَّ مجموعَ ما قيل من تفسيرات (الثقافة) إلى مدرستين:

١- المدرسة الغربية: التي ظلت وفيّة لتقاليد عصر النهضة، وترى أن الثقافة ثمرة الفكر أي ثمرة الإنسان.

٢- المدرسة الماركسية: التي ترى أن الثقافة في جوهرها ثمرة المجتمع[٢].

إلا أننا نستطيع أن نقول: إن الفعل (ثقف) أصل لغوي يتصل تاريخه بلغة ما قبل الإسلام، فتستعمل كلمة (الثقافة) بمعنى الأخذ والإدراك والظفر، وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦١]، وفي قوله: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [النساء: ٩١]، ويتضح لنا من عرض المعاني المتعددة لكلمة «الثقافة»؛ أنها تستعمل في الأمور المعنوية والحسية، غير أن دلالتها على الأمور المعنوية العقلية أكثر من دلالتها على الحسيات، وقد جاء تعريف «الثقافة» بالمعنى الاصطلاحي تعريفاً حديثاً للمجمع اللغوي الذي عرَّفها بأنها: «جملة العلوم والمعارف والفنون التي يُطلب الحذقُ بها»، وعرَّفها بعض التربويين بأنها: «مجموعة الأفكار والمُثُل والمعتقدات والعادات والتقاليد والمهارات وطرق التفكير ووسائل الاتصال والانتقال وطبيعة المؤسسات الاجتماعية في المجتمع الواحد». وعرَّفها بعض المفكرين المسلمين بأنها: «التراث الحضاري والفكري في جميع جوانبه النظرية والعملية

(١) في معركة الحضارة، قسطنطين زريق، دار العلم للملايين، بيروت، ص ٣٣-٣٤.
(٢) نفس المرجع، ص: ٢٩.

الذي تمتاز به الأمة ويُنسب إليها، ويتلقاه الفرد منذ ميلاده وحتى وفاته»[١].

وكذلك اختلفت وتباينت آراء العلماء المعاصرين في معنى الثقافة الإسلامية، فمنهم من قال: «هي طريقة الحياة التي يعيشها المسلمون في جميع مجالات الحياة وفقًا لوجهة نظر الإسلام وتصوراته، سواء في المجال المادي الذي سميناه بالمدنية، أو في المجال الروحي والفكري الذي سميناه بالحضارة»[٢]، ومنهم من قال: «هي معرفة التحديات المعاصرة المتعلقة بمقومات الأمة الإسلامية ومقومات الدين الإسلامي بصورة مقنِعة موجهة»[٣]، ومنهم من قال: «هي العلم الذي يبحث في المرتكزات الأساس للفكر الإسلامي لبناء الذات ومواجهة التحديات المعاصرة»[٤]، ومنهم من قال: «هي مجموعة من المعارف والأفكار والقيم التي تنبعث عن العلوم الإسلامية الكبرى كالعقيدة والتفسير والفقه والحديث والتي تفاعلت مع البيئات الإسلامية على مر الأزمنة فتكوَّن منها تاريخ طويل»[٥]، ومنهم من قال: «هي علم دراسة التصورات الكلية والمستجِدات والتحديات المتعلقة بالإسلام والمسلمين بمنهجية شمولية مترابطة»[٦].

من هنا يتبين لنا أن التعريف الأخير هو المختار، وذلك لشموله جميع التصورات والموضوعات الدينية القديمة والمعاصرة، والتحديات المتعلقة بها،

---

(١) دراسات في الثقافة الإسلامية، صالح ذياب هندي، ص: ٨.
(٢) دراسات في الثقافة الإسلامية، ص: ١٥.
(٣) دراسات في الثقافة الإسلامية ص: ١١.
(٤) المرتكزات الأساسية في الثقافة الإسلامية، أحمد العيادي، ص٢٠.
(٥) الثقافة الإسلامية ثقافة المسلم وتحديات العصر، محمد أبو يحيى، ص٢١.
(٦) الشخصية الإسلامية المعاصرة د. باسمة بسام العسلي، ص: ٢٧٤.

وبما أن علم الثقافة الإسلامية علم جديد لم يُعرف عند السلف؛ فقد تباينت آراء العلماء المعاصرين والمفكرين في تعريفه؛ نتيجة اختلاف اتجاهاتهم وتصوراتهم، فالثقافة الإسلامية علم أوجدَته الأحداث والمستجدات والتحديات والدراسات المعاصرة، خاصة بعد الهجمة الشرسة التي تعرض لها العالم الإسلامي[١]، من خلال عمليات الغزو والاستلاب الثقافي.

ومعنى الغزو الثقافي في اللغة: القصد والإرادة والطلب، يقال: غزا الشيءَ غزواً: أي أراده وطلبه، والغِزوة: ما غُزِي وطُلب، ومغزى الكلام: مقصوده والمراد منه، ويقال: غزا القوم: أي قصدهم بالحرب والقتال[٢].

أما في الاصطلاح؛ فقد تباينت آراء العلماء والمفكرين المعاصرين في تعريف الغزو الثقافي؛ فمنهم من قال: «هو الوسائل غير العسكرية التي اتخذها أعداءُ الإسلام لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية وصرْف المسلمين عن التمسك بالإسلام فيما يتعلق بالعقيدة وما يتصل بها من أفكار وأنماط وسلوك»[٣]، ومنهم من قال: «هو قيام مجتمعٍ ما أو حضارةٍ بمحاولةٍ لفرض ثقافتها على

---

(١) نفس المرجع ص: ١٠، وللاستزادة: السلام العالمي والإسلام، سيد قطب، ص١٣ - العبادة في الإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص١٧٩ - الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص٢٠٣.

(٢) للاستزادة راجع: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري مادة غزا، (١٥/ ١٢٣)- المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي ص٢٦٦- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ترتيب: السيد محمود خاط، ص٤٧٤ - تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (٣٩/ ١٦٠).

(٣) المرتكزات الأساسية في الثقافية الإسلامية، ص٣٠٠.

مجتمعٍ آخر؛ بنِيَّة الاعتداء والسيطرة والهيمنة»[١]، ومنهم من قال: «هو التغير الجديد الذي حصل في استراتيجية أعداء الله الغُزاة الذين تخلوا عن استعمار الأراضي، واستبدالها باستعمار عقولِ وقلوبِ أصحابها»[٢].

وهذا التعريف أقرب إلى الواقع؛ لأن الغزو الفكري حقق ما لم يحققه الغزو العسكري، لذا فهو أخطر أنواع الغزو؛ لأن السيطرة على الأفكار والاستيلاء على العقول؛ أمر لا يمكن التخلص منه بسهولة، بينما التخلص من الاستيلاء على الأرض ممكن وبوسائل متنوعة وبطرق أسهل بكثير من طرق التخلص من الغزو الفكري.

(١) الثقافة الإسلامية مفهومها مصادرها خصائصها مجالاتها، ص: ١٨١.
(٢) دراسات في الثقافة الإسلامية، صالح ذياب هندي، ص: ٢٨.

المبحث الأول
التأصيل الحضاري والغزو الثقافي

المطلب الأول: التأصيل الحضاري للثقافة الإسلامية

الحضارة بالمقياس الإلهي لا تقاس بما نقيسه الآن من شروط التقدم، فالله خلق الإنسانَ وجعله سيد الكون ليكون خليفته في إعلاء كلمته: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ولبيان الطريق الموصل إلى الله؛ كانت حكمة بعثة الرسل والأنبياء: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، فكان آخر المرسَلين محمد ﷺ، نبيًا وهاديًا للعالمين: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فأول وأهم خاصية للرسالة الإسلامية: الرحمة، ثم كان أول الوحي بآية: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ١-٣]، وليس المراد بها هنا إحسانَ الكتابة والقراءة ولا التفكر بمعنى التعلم ونفْي الجهل؛ بل أسمَى من ذلك، من إقرار العبودية الله وإقامة شريعته باسمه لا بِاسم غيره، لذلك لما انطلقت خديجة رضوان الله عليها بالنبي عليه السلام إلى ابن عمها ورقة بن نوفل؛ قالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك ما يقول، فقال له ورقة: يا ابن أخي؛ ماذا ترى؟ فأخبره ﷺ بما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى[1]، نعم هو ناموس الأنبياء جميعهم؛ نزل بالأمر بالقراءة باسم الله: حياةً وشريعةً ومنهجًا وعِلمًا، هذه هي الثقافة، وهذا أصل الحضارة.

---

(١) سيرة النبي ﷺ، أبو محمد عبد الملك بن هشام، (١/ ٢٣١).

فأهم خصائص الثقافة الإسلامية: الربانية، حيث تستمد معارفَها من الوحي الإلهي الكتاب والسنة، وما استنبطه العلماء المسلمون من هداياتهما، ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨]، لذا فمنطلقات هذه الثقافة: إصلاح شأن الإنسان مع نفسه وتنظيم علاقاته مع غيره، ومن خصائصها أيضًا: الشمولية والكمال؛ أخذاً من الرسالة الإسلامية الخالدة[١]: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، أي: فارضوه أنتُم لأنفُسِكم، فإنَّه الدّين الَّذي أَحبَّه الله ورضيه وبعث به أفضلَ الرسل الكرام وأنزل به أشرف كُتبه[٢].

(١) الثقافة الإسلامية، مصطفى مسلم وفتحي محمد الزغبي، ص: ٢١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (٣/ ٢٦).

الاستخلاف: قراءة اسم الله
وتطبيق شريعته.
الإسلام: دين جميع الأنبياء
عليهم السلام

الثقافة الإسلامية
نبع من هذه القراءة

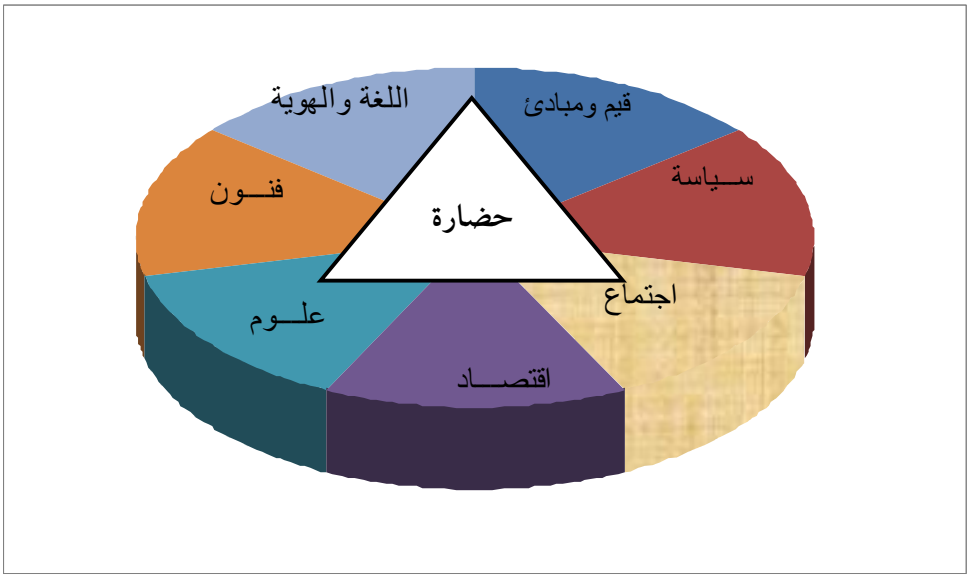

وما دامت الثقافة الإسلامية تجمع بين التأصيل الشرعى والوعى الواقعى بتاريخ الأمة وحاضرها ومستقبلها؛ فإن أول تأصيل لهذه الثقافة أنها رحمة للعالمين، وأرى أن أصوب تعريف للثقافة الإسلامية أنها: «العلم بمنهاج

الإسلام الشمولي في القيم، والنظم، والفكر، ونقد التراث الإنساني فيها»[١].

من هنا تتبين حدود العلاقة بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى، وحدود الأخذ والرد، ومنها مقاييس تحديدِ أي دخيلٍ غازٍ عليها.

المطلب الثاني: الغزو الثقافي

حلَّ الاختراق الثقافي محل الصراع الإيديولوجي، فلم يعد العالم موضوعاً لتنافس الإيديولوجيات التي يجتهد كل منها في تقديم تأويلٍ للحاضر وتفسيرٍ للماضي وتشريعٍ للمستقبل الأفضل، بل لقد غدا العالمُ كله اليوم مجالاً للاختراق الثقافي الذي يستهدف الأداة التي يتم بها التأويل والتفسير والتشريع، يستهدف العقلَ والنفسَ ووسيلتَهما في التعامل مع العالم[٢].

لقد تغيرت معظمُ الشعوب الإسلامية في إطار الاستعمار وبحكم القانون الذي يَفرض على المغلوب عاداتِ وتقاليدِ الغالب، فورِثت المقاييسَ المرتبطة بحياة العالم الغربي وبتجربته التاريخية، وتقبّلَت بعضَها لتقيس بها الواقع الاجتماعي لديها، وتقارن على ضوئها: ماضيها بحاضر هذه الأمم الغربية الذي يسحر أبصارها، حتى أصبحنا نضُم إلى الإسلام كلَّ ما نراه ذا قيمة حضارية دون تمحيص فيما يربطه أو يحدد درجة ارتباطه بالإسلام أو ينزّه عنه الإسلام[٣]، ومن هذا الطريق أوغَلَ الاستشراقُ في الحياة العقلية في البلاد

(١) الثقافة الإسلامية، مجموعة مختصين في الثقافة الإسلامية، ص: ١٤.

(٢) المسألة الثقافية في الوطن العربي منذ الخمسينيات، محمد عابد الجابري، محاضرة ألقيت في الندوة السنوية لجريدة الاتحاد الإماراتية بتاريخ ٢٣-١٠-٢٠٠٧، ص: ١٦.

(٣) القضايا الكبرى، مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي، إشراف: ندوة مالك بن نبي، ص١٣٤.

الإسلامية، محدداً بذلك اتجاهها التاريخي إلى درجة كبيرة هي الأزمة الخطيرة التي تمر بها ثقافتنا الآن[١]، فأُعلنت بداية الفصل الثاني من الصراع الفكري، وأتيح للاستعمار أن يستنتج من الفصل الأول ماسيطبقه فيما بعد في تخطيط سياسته الإيديولوجية، إذ أدرك أن وسائل القوة إذا خابت في مقاومة فكرة متجسدة؛ فستخيب حتماً في مقاومة فكرة مجردة، وعندها يجب اتباع خطط أكثر دقة، وهنا يبدأ الصراع الفكري، وسيجتهد الاستعمار في هذا الفصل الجديد في امتصاص القوى الواعية في البلاد المستعمَرة بكل وسيلة ممكنة كي لا تتعلق بفكرة مجردة، مستعيناً في ذلك بخريطة نفسية العالم الإسلامي: وهي خريطة تجري عليها التعديلات الضرورية كل يوم، يقوم بها رجال مختصون مكلفون برصد الأفكار، فاستغلوا جهل الجماهير لإنشاء منطقة فراغ وصمت لعزلها عن المجتمع، ووصلوا إلى أحط مستوى وهو استخدام سلاح المال، فتقوم صداقات واتفاقات في البلاد المستعمَرة، تساعد على توجيه هجمات محكمة في الوقت المناسب على بعض القطاعات من الجهة الفكرية، ثم يزيد في إتقان خطته، فتراه يسدل ظلاماً شاملاً على تلك الجبهة كي يعزلها عن ضمير الشعب المستعمَر نفسه وعن الضمير العالمي، وبهذا يصبح وضْع الأشياء وكأننا في قاعة غارقة في الضوء، بينما يبقى المسرح ذاته غارقاً في الظلام[٢].

هذا هو «الغزو الناعم» الذي نتج عنه تحويل الثقافة الإسلامية من الكل إلى الجزء، ونتكلم الآن عن مظاهره.

---

(١) الظاهرة القرآنية، مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي، إشراف: ندوة مالك بن نبي، ص: ٥٤-٥٥.

(٢) الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي، إشراف: ندوة مالك بن نبي، ص: ١٦-١٧ بتصرف.

مظاهر الغزو الناعم في القيم والمبادئ:

أ- التغريب:

عندما استطاع الاستعمار تحقيقَ بعضِ أهدافه؛ كانت آثارها كآثار الكَدْمات القوية الواضحة المعالم، كذلك يفرض الاستعمار أفكاره المعادية للدين بالقوة، وعن طريق الملاحدة الذين ذهبوا إلى أن تحقيق السعادة يكون بتخليص النفس من القلق والاضطراب، بالقضاء نهائياً على مصادر الخوف وسيما الخوف من الآلهة، [١] ومن ثم فإن الغاية الكبرى التي تصب فيها كل الغايات الأخرى؛ هي اللذة والمتعة، وعلى ذلك لا موجب لتأنيبِ مَن يرغب في اللذة؛ لأن الحيوان يتجه نحو اللذة قبل حصولِ فساد لطبيعته، فالطبيعة هي التي تحكم من خلاله بتفاوتها وكمالها، وبِناءً على هذا؛ فما دام الخير- وفقاً لفكرة قديمة- هو ما يطابق الطبيعة، والشر ما يناقضها؛ فاللذة هي الخير الأسمى، إذ هي الغاية القصوى والمشتركة بين كل الكائنات الحية باختلاف أنواعها وباختلاف الأماكن والأزمنة التي تعيش فيها، واللذة هي الخير الحقيقي [٢].

فهذه الأفكار الإلحادية في حقيقتها تكون صادمة لو أُعطيت كما هي فتَلقى مواجهةً واعتراضاً، ومن هنا فإن الغزو الناعم له آثار محققة دون أدنى كدمات واضحة، لأن وسائل غزو الفكر خادعة محفوفة بالشهوات كالطريق إلى جهنم، ولذا فالاستجابة إليها أسرع وأكثر [٣]، وهذا ما أسماه (جوزيف س. ناي) «القوة الناعمة»؛ في كتابه «القوة الناعمة: وسيلة النجاح في السياسة الدولية» الصادر

(١) أبيقور: الرسائل والحِكم، دراسة وترجمة جلال الدين سعيد، ص: ٤٣.
(٢) نفس المرجع، ص: ١١١-١١٢.
(٣) الغزو الفكري: أهدافه ووسائله، د. عبد الصبور مرزوق، ص: ٣٨.

عام ٢٠٠٤[١]، حيث يُعَرِّفها بـ«القدرة على الحصول على ما تريد عن طريق الجاذبية بدلاً عن الإرغام أو دفْع الأموال»، وهي بهذا تختلف عن القوة الصلبة أو العتاد العسكري والتهديد بالعقوبات والاستمالة بالمساعدات، وبامتلاك قوة ناعمة؛ تجعل الآخرين يعجبون بك ويتطلعون إلى ما تقوم به، فيتخذون موقفًا إيجابيًا من قِيَمك وأفكارك، فتتفق رغباتكما[٢].

استطاع هذا الغزو الناعم؛ التأثيرَ في الثقافة العربية الإسلامية، فأصبحت عرجاء، تمامًا مثل قصة الغُراب والطاووس، حيث قرر الغُراب أن يقلّد الطاووس في مِشيته بعد مراقبة طويلة..وحاول الغراب وحاول، وفي النهاية لم يَبْدُ جسد الغراب مؤهلاً للقيام بتلك المهمة، فقر العودةَ إلى مِشيته التي خلقه الله عليها مرة أخرى، ولكنه كان قد نسي مشيته الأصلية! ومازال الغراب يمشي متأرْجحًا بين المِشيتين محاولاً تذكر مِشيته القديمة.

ومن المؤكد أن جميع أجهزة الغزو والتغريب والتبشير؛ عجزت وستعجز عن تغيير ديانة المسلمين، فيستحيل أن يرتدَّ (٨٠٠ مليونًا) عن دينهم، لكنَّ الممكن والمجدي أن يفهم المسلمون دينهم فهمًا خاطئًا، فيتعاملون معه على أنه عقيدة فقط تربطهم بالسماء، في حين تنجرف نُظمُهم وتنظيماتُهم شرقًا أو غربًا، فالبديل الأمثل عندهم؛ أن يظل المسلمون يحملون أسماء إسلامية ويؤدون العبادات كاملة أو منقوصة، أما المعاملات ونُظم الحياة وتنظيمات المجتمع؛ فلتتحول إلى نُظم غربية أو شرقية تحمل قَسَماتها وتتبنى فلسفتها[٣].

---

(١) «القوة الناعمة: وسيلة النجاح في السياسة الدولية» (جوزيف س. ناي)، ترجمة (محمد البجيرمي)، مكتبة العبيكان عام ٢٠٠٧.

(٢) نفس المرجع، ص: ١٢.

(٣) وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الإسلامي، حسان محمد حسان، ص: ٦٦.

استطاعت الحملاتُ الإعلاميةُ الكبيرةُ زعزعةَ منظومة القيم والثقافة لدينا واختراقها عبر الاستلاب الثقافي الذي يعمل على التسلل لعقول المتلقّين ومحاولة التموقع والارتكاز بشكل جيد، وبشكلٍ يتيح إمكانيةَ إعادة هيكلة هذه القيم، وبالتالي إحلال قيمٍ ثقافية ممسوخة حتى وإن لم تكن غربية؛ تُسهم في تنميط السلوكيات وتوجيهها نحو وجهة محددة سلفًا، فاختلف اهتمامُنا بهذه القيم في منظومتنا الحياتية، واختلط الحلال بالحرام على وجه مشروع، فلا مانع من أن تكون المرأة مسلمةً ومتبرجة سافرة بحجة التحضر والانطلاق، فهذا نوع من الإسلام المعاصر الذي أصبح يُروَّج له، فالسلاح الذي بيد الإعلام الآن هو المرأة، كسلعة ترويجية لكل شيء دون استثناء، فأصبح همُّ معظم نساء شعوبنا: أن تكون شبيهة لفلانة وفلانة، وساعدت عمليات التجميل في تحقيق هذا الأمر، هذا نوع من الإلحاد غير الظاهر، وأثر من آثار الغزو الناعم للحركات الإلحادية؛ لأنه تمرد على خِلقة الصانع، وتحقيق للذةِ المادية المنحصرة بالجسد، وهو ما حكاه القرآن عن إبليس أنه قال: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩].

ب- **العولمة:**

فَرضت العولمةُ على المجتمعات: الانفتاحَ والتلاقي؛ متناسيةً الخصوصيات الثقافية والحضارية والدينية والاجتماعية للشعوب؛ مما أحدث سجالاً عميقًا بين الأفراد سواء النُّخَب أو العامة: بين رافضٍ للعولمة باعتبارها طمسًا لهوية وخصوصية الأمم والشعوب، وتذويبًا لقيمها ومبادئها على حساب نشر قِيم غريبة عنها وصبْغ العالم بالصبغة الغربية، وبين مُقبلٍ على العولمة بنهَم وشغَف دون أدنى تحفظٍ على كلٍّ أو جزءٍ من تجلياتها، فأحدث ذلك سجالاتٍ كثيرةً على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية

والثقافية؛ مازالت أحداثها تدور إلى هذه الساعة.

ومن أكثر صور العولمة وجوداً: عولمة الإعلام، وهي اتحاد مجموعة من الوسائل التي تروّج بقوة شمولية وعنيفة ومتسلطة لمضامين العولمة، فتكون صورة مسيطرة على الذهن، مؤثرة على السلوك، مشجعة على الانتشار التطبيعي السريع، ومن أهدافها: السيطرة على الرأي العام وصولاً إلى سيادة الفكرة الواحدة، وتعميم الفكر الإباحي، وتذويب الجانب الديني والأخلاقي، وتصنيع ذات وهوية وشخصية الإنسان في كل مجتمع[١].

إلا أنني هنا أؤيد ما ذهب إليه الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري في كتابه (العالم الإسلامي في عصر العولمة)؛ من أن الهزيمة النفسية أمام العولمة تأتي من اعتبار العولمة حتمية، وهو أمر غير حقيقي ليس فيه أكثر من اعتراف المرء بأنه لم يعد لديه طاقة باقية للمقاومة، أي أنه قد نفَذ جهدُه وأصبح مستعداً للتسليم[٢].

ج- المثاقفة «حوار الثقافات»:

اختلفت وجهات نظر المثقفين العرب حول قضية المثاقفة؛ بين مَن يعدّها ضرورة حيوية لمختلف الشعوب والحضارات، تقوم على أساسٍ من الثقة والاقتدار؛ إذ لا خير في التقوقع ولا في التبعية وبخاصة الثقافية، ومن ثَم رفضوا سياسات الانغلاق أو الإلحاق والغزو والمحو الثقافي، ودعوا إلى وضع الخطط والإمكانات اللازمة لذلك؛ بدءاً من تحصين الوعي الثقافي القومي على جميع المستويات، بينما اعتبرها آخرون صورة من صور الغزو الثقافي؛ حيث الاستقطاب والتبعية والتغريب والتنميط والتغطية.

---

(١) الأسرة المسلمة في زمن العولمة، فاطمة عمر نصيف، ص: ١٨.

(٢) العالم الإسلامي في عصر العولمة، عبد العزيز بن عثمان التويجري، ص: ١٦.

وقد أعجبني مقال للمفكر والناقد اليمني محمد الخمشوش بعنوان: «المثاقفة: فاعلية الحضور للأنا أم تبعية الإلحاق للآخر؟»؛ حيث ذهب إلى **تعريف المثاقفة** بأنها: عملية التغيير أو التطور الثقافي الذي يطرأ حين تدخُل جماعات من الناس أو شعوب بأكملها - تنتمي إلى ثقافتين مختلفتين- في اتصال وتفاعل يترتب عليهما حدوث تغيّرات في الأنماط الثقافية الأصلية السائدة في الجماعات كلها أو بعضها، والمثاقفة بعكس الغزو الثقافي الذي يتضمن الرغبة في محو الآخر وإلحاقه وفرْض التبعية عليه، ومعاملته بنظرة فوقية عدوانية متغطرسة.

والمثاقفة تقوم على الاحترام والتسامح والاعتراف بخصوصية الآخر واختلافه، وفي إطارها تتفاعل الجماعات والشعوب وتتواصل بهدف الاغتناء المتبادَل، لهذا فهي تفترض الثقة والرغبة في التواصل والتقدم والتطور واكتساب العلم والمعرفة، وإذا كانت الشعوب تسعى سعياً حثيثاً تجاه المثاقفة؛ فإنها ترفض أشكال الغزو الثقافي كافة، وقد عبَّر المهاتما غاندي عن ذلك قائلا: «إنني أفتح نوافذي للشمس والريح، ولكنني أتحدّى أية ريح أن تقتلعني من جذوري».

لهذا فالمثاقفة - بهذا المعنى- رافد مهم تسعى كل أمة من خلاله إلى معرفة الآخر واستثمار ما لديه من قيم ومعطيات إنسانية وحضارية، وإلى تنمية كيانها الثقافي بشكل خلاّق غير مُضرّ بمقومات الهوية القومية وثوابتها.. ومن هذا المنطلق؛ يعد «حوار الثقافات» أي «المثاقفة» ضرورة حيوية لمختلف الشعوب والحضارات[1].

---

(١) محمد الخمشوش، ملتقى الشباب المبدع الثقافي، ٣١من مايو ٢٠١٢.

وإذا كان الوعي بالذات وبالآخر، يوفر لكل من الذات والآخر هويةً وخصوصيةً وتمايزاً، ويرتب حقوقاً وواجبات، وينمّي ملكات وقدرات؛ فإن ذلك يُشير بوضوح إلى توافر مقومات الشخصية وقيمها، وهي أهم ما تهدف إلى بنائه التربية خاصة والثقافة عامة؛ تلك الشخصية التي نريد أن ننظر إليها على أنها «الشخصية الثقافية» أو «الحضارية» لأمةٍ أو شعب أو مجموعة بشرية، ومن ثَم فإن أهم مقومات هذه الشخصية- بالنسبة لكيان تام مستقل يعي تمايزه وخصوصيته- ما يلي:

١- **اللغة**: بما حملت من معارف وخصوصيات ودلالات، بوصفها أداة تفكير وتعبير وتَواصل، وذاكرةً حية من جهة، ومستودعاً حيوياً للمعرفة والأصالة والذوق والخبرة من جهة أخرى.

٢- **العقيدة أو الدين**، بما تكرسه من منظومات قيمٍ، ومعايير حُكْمٍ، ومرجعيات احتكام، وأحكامٍ، وحِكَم؛ وبما تقدمه من تفسير ورؤية للعلاقة بين الخالق والمخلوق من جهة، وبين المخلوق والمخلوق والكائنات الأخرى والطبيعة والكون من جهةٍ أخرى، وما ترمي إلى تحقيقه من علاقات وصلات ومعايير، وما ترسِّخه في النفس وفي واقع الحياة من قيم ومقومات وقواعد وأصول تستند إليها أسس السلوك والعمل والتعامل بين الناس.

٣- **العادات والتقاليد والأعراف**، والسمات الخاصة والمشتركة التي تتكوَّن جرَّاء تفاعل عوامل ومكوِّنات في قرون عديدة، وتقدِّم تاريخاً وخلاصةَ تَوحُّدٍ بشريٍ لفئات من الناس عبر الزمن مع طبيعة وبيئة في مجتمع، ضمن معطيات تُنتج خصوصيات ومميزات وملامح وأساليب معينة في الحياة.

ولما كانت هذه العوامل الرئيسة في تكوين الشخصية الثقافية الفردية والجماعية، تفعل فِعلها المؤثر، وتؤدي إلى خصائص تظهر في التكوين العام والخاص على المستويين الفردي والجماعي، وبالتالي تعطي ملامح عامة تكون شيئًا مشتركًا بين أفرادٍ ذوي هوية خاصة «فردية» على مستوى الجماعة أو الشعب أو الأمة، وعامة بالنسبة لجماعة أو شعب أو أمة بين الأمم، فإنه من الطبيعي أن نتلمَّس التأثير الثقافي - الذي هو إنتاج جماعي ذو بعد تاريخي- نتلمَّس تأثيرَه في بنية الإنسان، ومن الطبيعي أن نتلمَّس تأثيرَ الشخصية وحضورَها وكيفية تفاعلها وتواصلها مع الشخصيات الأخرى في هذا الإطار؛ الأمر الذي يعطي للشخصية - الهوية- مجالاً حيوياً تَبقى فيه قادرةً على أن تكون هي هي في أثناء التواصل والتفاعل والتكامل مع الآخرين، وقادرة على الأخذ والعطاء دون عُقَد، وعلى النمو والتطور دون أن تفقد الأصالة أو الرؤية، قادرة على التمثُّل والتجدُّد عبر تيار صيرورة ذي مسار لا يخرج بها عن جوهرها في سير عملية المثاقفة ذاتها، التي تختلف اختلافاً بيّناً عن الغزو الثقافي؛ فالمثاقفة تنطوي على أمور إيجابية إنسانية حيوية مطلوبة ومرغوب فيها، تتطلع إليها الأمم وتنشُدها الثقافات، بينما الغزو الثقافي ينطوي على فعل سلب وموقف استلاب تقاومه الأمم وترغب عنه الثقافات.

إن شخصية ثقافية «أمَّة» تصمُد للقاء الثقافات باقتدار، وتبقى قادرة على الإغناء والاغتناء، وتحافظ على مقوماتها الرئيسة دون فَقْدٍ كليٍّ أو محوٍ، إنما هي أمة تتمتع بأصالةٍ تجسِّد قدرةً على الاستمرار والتمثُّل والتمايز والإبداع، وتستطيع أن تخرج من خِضَم الصراعات والتحديات التي تُفرَض عليها؛ معافاة حاملة هويتها وعزمها، قادرة على استئناف التواصل الثقافي بانفتاح محصَّن[1].

(١) ثقافتنا والتحدي، خطابنا وخطاب العصر، علي عقلة عرسان، من منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق: ٢٠٠١م، ص: ١٦.

ولا يمكن أن نُجبر العالم الإسلامي على أن يعزل نفسه عن بقية الحضارات والثقافات والمتغيرات الحديثة؛ لأنه لا يجب أن تتوجه أفهامنا دائماً إلى الخوف والشعور دائماً بأن هناك عملية استلاب وغزو، لأن هذا في مجمله لا يعالج المشكلة الحقيقية التي نعيشها كأمّة لها كيان خاص، حدده دين خاص لها وعام لكل الأمم، من هنا فمعظم المحاولات في العالم الإسلامي كانت تعالج مواضيع متفرقة، لكن ليس فيها تحليل منهجي للمرض الحقيقي الذي أصاب الأمة منذ قرون، فكل مُصلح وصَف الوضع الراهن تبعاً لرأيه أو مزاجه أو مهنته، فرأْي رجل سياسي أن المشكلة تُحَل بوسائل سياسية، ورجال الدين يرون أن المشكلة لا تُحَل إلا بإصلاح العقيدة والوعظ.. على حين أن هذا التشخيص- كما يقول مالك بن نبي-: لا يتناول في الحقيقة المرضَ، بل يتحدث عن أعراضه، وقد كانت النتيجة قريبة من تلك التي يحصل عليها طبيب يواجِه حالة مريض بالسل الجرثومي، فلا يهتم بمكافحة الجراثيم، وإنما يهتم بهيجان الحمى عند المريض[1].

(١) مالك بن بني، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، ص: ٤٠-٤١.

المبحث الثاني: الهزيمة النفسية

مشكلة كل شعب في جوهرها مشكلة حضارية، ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته ما لم يرتفع بفكره إلى الأحداث الإنسانية، وما لم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها[١].

وإذا رجعنا إلى النشأة الأولى للمسلمين؛ نجد أنهم لم يكونوا يملكون أسباب الحضارة المادية أو من العلوم كما كان الفُرس والروم، إلا أنهم صنعوا الحضارة دون أن يحنوا رؤوسهم أبداً، لم يشعروا بالانبهار، وكانوا هم الأعلَوْن، لأنهم مؤمنون عرفوا أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وليس للكفار والوثنيين شيء من العزة ولو ملكوا كل علوم الأرض وكل خزائنها، وحين أخذ المسلمون من حولهم؛ فقد كان سلوكهم المستعلي بالإيمان واضحاً في طريقة الأخذ، وكان ذلك أوضح ما يكون في خصلتين رئيستين:

الأولى: أن أرواحهم لم تهزم قط أمام أعدائهم تحت ضغط الحاجة إلى الأخذ منهم.

والثانية: أنهم لم يَنقلوا كل شيء وجدوه عند أعدائهم؛ بل كانوا ينقلون عن بصيرة، فينقلون فقط ما يظنون أنهم بحاجة إليه مما لا يتعارض مع عقيدتهم وإسلامهم.

أما الآن فالأمر جد مختلف، نظراً لاختلاف الموقف ما بين الأخذ الأول وما نعيشه الآن، ففي الأولى كان المسلمون هم الأعلون وان كانوا آخذين، لأن الاستعلاء بالإيمان الذي يكيف حياتهم وموقفهم، والآن تخلفت العقيدة

(١) نفس المرجع، ص: ٢١.

وتوارت تحت الركام؛ فلا عزةَ ولا استعلاء، إنما الهزيمة والانبهار والنقل بلا بصيرة لكل ما هو موجود في الغرب، بغير تمييز بين ما ينفع وما يضر، ولا بين ما يتفق مع الإسلام وما يتعارض معه، لأن الإسلام لم يعد محور ارتكاز المسلم المعاصر، ولم يعد له كيانه المتميز المستمَد من العقيدة الصحيحة ومن تطبيق منهج الله(١).

أعراض الهزيمة النفسية للمسلمين:

١- اليأس من إمكانية التغيير، فقد هبَّت عليهم رياح عاتية من القنوط واليأس، وهُزموا هزيمة نفسية أمام هذا الواقع، وقد وصف ﷺ هذه النفسية المهزومة وصفاً دقيقاً حيث قال: «**إذا قال الرجل هلك الناسُ فهو أهلكَهم**»(٢) بالفتح، أي: حَكم عليهم بالهلاك، وفى لفظ: «**فهو أهلكُهم**» بالضم، أي: هو أكثرهم هلاكاً، والضم أشهر كما قال النووي.. قال أبو داود: قال مالك: إذا قال ذلك تحزناً لما يرى في الناس - يعنى في أمر دينهم - فلا أرى به بأساً، وإذا قال ذلك عُجْباً بنفسه وتصاغراً للناس؛ فهو المكروه الذي نهى عنه(٣).

٢-السلبية الشديدة عند كثير منهم، فصار المسلم الآن ينظر إلى الباطل والمنكرات في مجتمعات المسلمين كما لو أنها أمر عادي، مع أن الأمر

(١) نفس المرجع: ص: ١٢.
(٢) لفظه: عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا قَالَ الرَّجُلُ هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ**»، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: لا أَدْرِى أَهْلَكَهُمْ بِالنَّصْبِ أَوْ أَهْلَكُهُمْ بِالرَّفْعِ. صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحَجاج القشيري النيسابوري، رقم: ٦٨٥٠، (٨/ ٣٦).
(٣) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، ٤/ ٤٥٣.

بالمعروف والنهى عن المنكر هو القطب الأعظم في هذا الدين، وهو شرط من شروط خيرية أمة سيد المرسلين: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فنحن نَشهد الآن سلبية قاتلة خيَّمت في سماء الأمة كعرَضٍ خطير من أعراض الهزيمة النفسية القاتلة.

٣- الدفاع عن الإسلام كمتّهم: فالغرب يثير شبهات خطيرة على الإسلام، من بينها أن الإسلام دين إرهاب وتطرف، وأنه ظَلم المرأة وجعَلها مهملةً وثروة معطلة، يثيرون هذه القضايا ليطعنوا في ثوابت الدين، ولقد انبرى للرد على هذه الشبهات فريق من أهل العلم، لكنه دافع عن الإسلام من منطلق أنه متَّهم بذلك، ومن ثَم جاءت الردود هزيلة، لأنها خرجت من مهزوم نفسيًا.

٤- الاستحياء من إظهار الهوية الإسلامية، فكم من مسلمٍ يقيم بين غير المسلمين؛ يستحى أن يُظهر هويته، بل تراه انصهر في بوتقة المناهج الغربية وراح يقلد الغرب تقليداً أعمى، وصدق البشير النذير ﷺ إذ يقول- كما في الصحيحين-: «**لتتبعن سَنن مَن كان قبلكم؛ شِبراً بشِبرٍ وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جُحرَ ضَبٍّ لدخلتموه معهم**»[(١)].

(١) وهو في مسند الإمام أحمد بن حنبل، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، حديث رقم ١٠٦٤٩، (٢/ ٥١١).

خاتمـــة

يجب ألا نعلق أخطاءنا على شماعة الغرب أو غيرهم، فتلك حُجة الضعيف المتخاذل، ولو قارنَّا بداية صُنع حضارة العرب ببعث خير البرية ﷺ، نجد المقاييس متشابهة بين الوسط الذي ظهر فيه الإسلام والحضارات المختلفة المتباينة التي تحيط به: مجتمع داخلي جاهلي فاسد؛ عبَّر عنه بوضوح جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للنجاشي ملِك الحبشة فقال: «... إنَّا كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل منا القويُّ الضعيفَ»[(١)].

وكانت ديانة الشرك وعبادة الأوثان والاعتقاد بالأوهام والخرافات، فوجدت اليهودية والمسيحية والمجوسية والصابئة سبيلاً للدخول في ربوع العرب، ومجتمع خارجي مغاير: ثقافات هندية وفارسية ورومية، بعقائد وأديان مختلفة لا تختلف عن جاهلية العرب، فكان الأمر للنبي ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [المدثر: ١-٦]، إنه الأمر بتغيير كل ما حوله؛ فكيف تحققت الخيرية؟

إن أول ما نزل من الوحي آيات قصيرة تشتمل على تزكية النفوس وتقبيح تلويثها برغائب الدنيا، تسير بالمؤمنين في جو آخر غير الذي فيه المجتمع البشري آنذاك[(٢)]، وإذا نظرنا إلى أساليب المشركين آنذاك في الصد عن دين الله؛ نجدها هي نفسها الموجودة الآن وإنِ اختلفت المسميات والأساليب، فمثلاً عند بداية دعوة النبي ﷺ؛ عمد المشركون والحاقدون إلى السخرية والتحقير،

(١) الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، الطبعة ٢١ الشرعية المنقحة، ص: ١٠٠.
(٢) الرحيق المختوم، ١/ ٧٦.

لتخذيل المسلمين وتوهين قواهم المعنوية، وهذا لا يختلف عما هو موجود الآن من سيطرة الإعلام الذي يلجأ إلى السخرية ومحاولة إزالة مفهوم «المقدَّس» عند المسلمين، تمثّل ذلك في الأفلام والرسوم المسيئة للنبي ﷺ، وفي نقل الصورة النمطية المشوِّهة للإسلام والعرب في التراث الغربي، من دوائر الدراسات الاستشراقية والسياسية والأكاديمية، إلى الدائرة الشعبية الأوسع والأرحب، وتمكنت وسائل الإعلام في الغرب- بما تمتلكه من قدرة على الانتشار وقوة الجذب والتأثير- من أن تجعل الصورة النمطية المشوَّهة عن الإسلام والعرب ضمن اهتمامات الفرد الغربي، والمؤسف أن معظم وسائل الإعلام العربية تُسهم في تحقيق الغزو المدمِّر، فما تحاول رسْمه من أنماط السلوك خطير جداً ويحتاج إلى وقفة كبيرة وطويلة، فالسينما العربية تحاول استبدال صورة الإنسان المؤمن بصورة نمطية مغفلة تقتصر على هيئة زرية، وسِحنة عبوس، وصفات سلبية كالكذب والنظر للنساء واتباع طرق ملتوية للوصول إلى أغراضه وأهدافه بطرق غير شرعية كالرشوة والخدمات المشبوهة، وما نجده في موجة المسلسلات المكسيكية والتركية التي غزت الإعلام العربي الإسلامي بشكل لافت، إنما هو تشويه لتعاليم الإسلام وإثارة للشبهات وبث الدعايات الكاذبة، ونشر الإيرادات الواهية حولها، حتى لا يبقى للعامة مجال في تدبر دعوته، وما تحققه هذه الأفلام والمسلسلات أكبر بكثير مما يمكن أن تحققه بقية الوسائل الأخرى، حيث إنها قادرة على الدخول في كل بيت عربي مسلم، وتستطيع أن تجعل المحرم مباحًا بل جزءاً من الثقافة، فيغيب معها الإحساس بالذنب أو الخطيئة، لأنها تقدَّم بطريقة تساعد على إلغاء حاجز الخوف من الله، كإباحتها للعلاقات المحرمة، وللتبرج والسفور عن طريق الإغراءات التي تمثلها الفنانات اللواتي أصبحن قدوة لنا، وهذا أكبر انتصار للملاحدة في سعيهم للقضاء نهائيًا على مصادر الخوف من الإله، عن طريق

تحقيق اللذة والمتعة، بحجة أنه لا موجب لتأنيب من يرغب في اللذة[١].

إذن لا مجال للتفريق بين ما كانت عليه جاهلية الماضي وجاهلية اليوم، فالأساليب المتبعة لحماية هذا الإلحاد هي نفس ما اتُّبع في الجاهلية، مثل معارضة القرآن بأساطير الأولين، فلنتأمل ما ورد في السيرة عن النضر بن الحارث حيث ذهب إلى الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك الفُرس وغيرهم، فكان كلَّما جلس الرسول ﷺ مجلساً للتذكير بالله، جاء بعده النضر وقال لهم: والله ما محمد بأحسن حديثاً مني، ثم أخذ يحدثهم عن ملوك فارس وخرافات رستم وأسفندبار، ويقول: بماذا محمد أحسن حديثاً مني؟ وتفيد بعض الروايات أن النضر كان قد اشترى قِينات، فكان لا يسمع برجل مال إلى النبي ﷺ إلا سلط عليه واحدة منها، تطعمه وتسقيه وتغني له، حتى لا يبقى له ميل إلى الإسلام، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾ [لقمان: ٦]، فكل ما يحصل الآن من محاولات التشويه في الداخل أو الخارج؛ يشبه المساومات التي قام بها المشركون للصد عن دين الله، حيث حاولوا من خلالها أن يلتقي الإسلام والجاهلية في منتصف الطريق، بأن يترك المشركون بعض ما هم عليه، ويترك النبي ﷺ بعض ما هو عليه، فقالوا: يا محمد؛ هلُمَّ فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد، فنشترك نحن وأنتَ في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيراً مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه، وإن كان ما نعبد خيراً مما تعبد؛ كنتَ قد أخذتَ بحظك منه[٢].

---

(١) أبيقور الرسائل والحكم، ص: ١١١-١١٢.

(٢) الرحيق المختوم، ص: ٨٤.

إذن ما هى الأسباب والعوامل التى بلَغت بالمؤمنين هذه الغاية القصوى والحدَّ المعجز من الثبات؟

السبب الرئيس هو الإيمان بالله وحده ومعرفتُه حق المعرفة، تتمثل في قول النبى ﷺ لقريش التى جاءت تفاوضه على دينه: «كلمة واحدة تعطونها، تملكون بها العرب وتدين لكم بها العَجم، تقولون لا إله إلا الله، وتخلعون ما تعبدون من دونه»[(١)].

وتتفرع من هذا السبب الوحيد أسباب أخرى قوَّت هذا الثبات والمصابرة، وهي:

- قيادة تهوي إليها الأفئدة: حيث النبى ﷺ القائد الأعلى للأمة الإسلامية بل وللبشرية.
- الشعور بالمسؤولية: فقد كان الصحابة يشعرون بالمسؤولية الضخمة، وأنها لا يمكن الحياد أو الانحراف عنها بحال، فالعواقب التى تترتب على الفرار عن تحملها أشد وخامة وأكبر ضرراً مما هم فيه من الاضطهاد، والخسارة التى تلحقهم وتلحق البشرية بعد هذا الفرار؛ لا تقاس بالمتاعب التى كانوا يواجهونها نتيجة هذا التحمل.
- الإيمان بالآخرة، وهو مما كان يقوّي هذا الشعور بالمسؤولية، فقد كانوا على يقين جازم من أنهم يقومون لرب العالمين، وكانوا يعرفون أن الدنيا بعذابها ونعيمها لا تساوي جناح بعوضة في جنب الآخرة، وكانت هذه المعرفة القوية تهوّن عليهم متاعب الدنيا ومشاقها.

---

(١) سيرة ابن هشام، ١/ ٤١٨.

- القرآن: كان القرآن يرشد المسلمين ويبصرهم بمشاهد الكون وجمال الربوبية وكمال الألوهية وآثار الرحمة والرأفة وتجليات الرضوان.
- البشارة بالنجاح: وأن يرثوا الأرض والديار[١]: فغُذيت أرواحهم وتزكّت نفوسهم بنقاء القلب ونظافة الخُلق، والتحرر من سلطان الماديات والمقاومة للشهوات والنزوع إلى رب العباد، فازدادوا رسوخاً وفقهاً في الدين وحرصاً على العلم ومحاسبة للنفس وقهراً للنزعات[٢].

وأعتقد أن مقومات الحضارة واضحة المعالم لا تحتاج للأسئلة الكثيرة ولا للبحث عن الإجابات المتنوعة، إلا أننا ضَيعنا فضِعنا، وصدق الحبيب المصطفى حين قال: «**إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ، وَيَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلاَ يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ**»[٣].

جاء في فتح الباري شرح صحيح البخاري: (وقوله: «**ويظهر فيهم السِّمَن**»؛ بكسر المهملة وفتح الميم بعدها نون، أي يحبون التوسع في المآكِل والمشارب، وهي أسباب السمن بالتشديد، قال ابن التين: المراد ذم محبته وتعاطيه لا من تخلَّق بذلك، وقيل: المراد يَظهر فيهم كثرة المال، وقيل: المراد أنهم يتسمّنون أي يتكثرون بما ليس فيهم ويدَّعون ما ليس لهم من الشرف، ويحتمل أن يكون جميع ذلك مراداً، وقد رواه الترمذي من طريق هلال بن يساف عن عمران بن

---

(١) الرحيق المختوم، ص: ١٢٠-١٢١.

(٢) نفس المرجع، ص: ١٢٤.

(٣) الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، (٣/ ٢٢٤)، حديث رقم٢٦٥١

حصين بلفظ: «ثم يجيء قوم يتسمَّنون ويحبون السِّمن»، وهو ظاهر في تعاطى السِّمن على حقيقته، فهو أولى ما حُمل عليه خبر الباب وإنما كان مذموما ؛ لأن السمين غالبًا بليد الفهم ثقيلٌ عن العبادة كما هو مشهور[(١)].

وهكذا أصبحنا، سمِنت أجسادنا فتبلّدت أفهامنا، وتثاقلنا عن العبادة ومعرفة الله كما يجب، فجيل الصفوة كوَّنوا حضارة من لقيمات كانت تسد الجوع، مقابل سِمن في الإيمان الذي به القوة والعزة، أما نحن فصرنا نعبد الله على حَرف: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ﴾ [الحج: ١١].

لكننا نؤمن بوعد الله ورسوله أن الله سيَستخلف مسلمين آخرين أقوى منا إيمانًا، سيخوضون معركة العدل الحقيقية، ويكوْنُون أهلاً للاستخلاف في الأرض: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وعْدٌ من الله ورسوله، والله لا يُخلف وعْدَه.

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (١١/ ٣٠٩).

قائمة المصادر والمراجع

١- أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: مكتب التحقيق بدار هجر، الطبعة الأولى، بدون تاريخ طبع.
٢- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي ابن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٣- أبو محمد عبد الملك بن هشام، سيرة النبي ﷺ، دار الصحابة للتراث بطنطا، مصر، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.
٤- أحمد بن على بن حجر العسقلانى، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الريان للتراث، سنة النشر: ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.
٥- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة - القاهرة، بدون تاريخ طبع.
٦- أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، ، دار الجيل بيروت، دار الأفاق الجديدة ـ بيروت، طبعة: ١٩٨٠.
٧- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، دار الكتاب العربي ـ بيروت: ٢٠٠٠.
٨- أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت - ٢٠٠١م.
٩- أحمد العيادي، المرتكزات الأساسية في الثقافة الإسلامية، دار الكتاب الجامعي بالعين، ط الثانية ١٤٢٤_ ٢٠٠٤.
١٠- باسمة بسام العسلي، الشخصية الإسلامية المعاصرة دار الفكر بيروت: ٢٠١٠.
١١- جلال الدين سعيد، أبيقور الرسائل والحكم، دراسة وترجمة، الدار العربية للكتاب، بدون تاريخ طبع، رقم الإيداع: ، isbn9973-10-074-3.
١٢- حسان محمد حسان، وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الإسلامي، دار الفكر: ١٩٩٠م.

١٣- د. يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، مكتبة وهبة بالقاهرة.
١٤- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، الجامع الصحيح، دار الشعب - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ - ١٩٨٧.
١٥- محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت الطبعة الأولى: ١٩٥٥.
١٦- مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي، القضايا الكبرى، إشراف: ندوة مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر بيروت، لبنان، دار الفكر دمشق، سورية، الطبعة: ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.
١٧- مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي، الظاهرة القرآنية، إشراف: ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق سورية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠ هـ -٢٠٠٠م.
١٨- مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، إشراف: ندوة مالك بن نبي، دار الفكر الجزائر، دار الفكر دمشق، سورية، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨
١٩- مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي، مشكلة الثقافة، إشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة: ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م ط٤: ١٩٨٤م.
٢٠- مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دمشق، دار الفكر، سورية، بإشراف ندوة مالك بن نبي.
٢١- محمد أبو يحيى، الثقافة الإسلامية: ثقافة المسلم وتحديات العصر، دار المناهج بالأردن، ط السادسة ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٦م.
٢٢- مصطفى مسلم وفتحي محمد الزغبي، الثقافة الإسلامية، إثراء للنشر، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
٢٣- محمد البجيرمي، القوة الناعمة: وسيلة النجاح في السياسة الدولية، لجوزيف س. ناي، ترجمة مكتبة العبيكان، عام ٢٠٠٧.
٢٤- سيد قطب، السلام العالمي والإسلام، دار الشروق بجدة، ط السادسة، ١٩٨٢م.

٢٥- عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق: مركز هجر للبحوث، دار هجر، مصر، طبعة ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.
٢٦- عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠ م.
٢٧- عبد العزيز بن عثمان التويجري، العالم الإسلامي في عصر العولمة، دار الشروق، طبعة ٢٠٠٤م.
٢٨- علي عقلة عرسان، ثقافتنا والتحدي، خطابنا وخطاب العصر، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م.
٢٩- عبد الصبور مرزوق، الغزو الفكري: أهدافه ووسائله، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، ١٩٩٣م.
٣٠- فاطمة عمر نصيف، الأسرة المسلمة في زمن العولمة، دار الأندلس الخضراء، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.
٣١- صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، الطبعة الشرعية المنقحة، دار الوفاء، الطبعة الحادية والعشرون: ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
٣٢- صالح ذياب هندي، دراسات في الثقافة الإسلامية، جمعية عمال المطابع التعاونية بالأردن، ط ٥، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م
٣٣- قسطنطين زريق،في معركة الحضارة، دار العلم للملايين- بيروت، ط الأولى،١٩٦٤م.
٣٤- الثقافة الإسلامية،مجموعة مختصين في الثقافة الإسلامية،دار النهضة،ط:١٤١٧هـ.
٣٥- المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة، بدون تاريخ طبع.

مجلات ودوريات:

- محمد عابد الجابري،المسألة الثقافية في الوطن العربي منذ الخمسينات،محاضرة ألقيت في الندوة السنوية لجريدة الاتحاد الإماراتية، بتاريخ ٢٣-١٠-٢٠٠٧.
- محمد الخمشوش، ملتقى الشباب المبدع الثقافي، ٣١ من مايو ٢٠١٢.